

مختصر
حلية طالب العلم
أجازه وصححه فضيلة الشيخ
بكر بن عبد الله أبو زيد
اختصره
طه بن حسين بافضل
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

مقدمة

الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة قديمًا وحديثًا، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله محمد وآله وصحبه الذين ساروا في نصرة دينه سيرًا حثيثًا، وعلى أتباعهم الذين ورثوا علمهم — العلماء ورثة الأنبياء — أكرم بهم وارثًا وموروثًا.

أما بعد: فهذا مختصر لكتاب حلية طالب العلم للشيخ العلامة أبي عبد الله بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله، وهو كتاب نافع عظيم في بابه، ولما كانت عباراته جزلة وكلماته قوية بصعب على صغار الطلاب فهمها واستيعابها، ارتأيت — مع قلة البضاعة والزاد في العلم — أن أختصر هذا الكتاب ليصبح كالمتن، تحفظ عباراته بشكل سهل وميسر، فأبقيت على العناوين الرئيسية والفرعية وحذفت الشواهد الكثيرة والعبارات الاستطرادية للمؤلف، ثم قيدت بعض الفوائد من شرح فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين حفظه الله وفوائد أخرى مما سمعناه من كلام أهل العلم في هذا المقام، ولقد سرني كثيرًا أن الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد اطلع عليه وصححه وأجازه بقوله: «وجدته وافيًا مناسبًا للمبتدئين» فجزاه الله خيرًا.

أسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير إلى عفو ربه
طه بن حسين بافضل
غيل باوزير حضرموت

أولاً: آداب الطالب في نفسه

١- العلم عبادة:

اعلم أيها الطالب المجد أن العلم عبادة؛ فلابد من إخلاص النية لله عز وجل لقوله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات...**»، وقال بعض العلماء: «العلم صلاة السر وعبادةُ القلبِ».

فاحذر من كل ما يصيب نيتك في صدق الطلب؛ كحب الظهور والتفوق على الأقران، أو جعل العلم سلمًا للحصول على جاهٍ، أو مال، أو تعظيم، أو سمعة، أو صرف وجوه الناس إليك.

وابذل الجهد في الإخلاص، وكن على خوف شديد من نواقضه؛ فقد قال سفيان الثوري رحمه الله: «ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي».

ومع إخلاص النية فاعمر قلبك بمحبة الله ومحبة رسوله ﷺ؛ وذلك بمتابعته واقتفاء أثره؛ فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

٢- كن على جادة السلف الصالح:

وهم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين فمن بعدهم ممن قفا أثرهم في جميع أمور الدين، وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة [١]؛ فكن متميزًا بالتزام آثار رسول الله ﷺ وترك الجدال والمراء والخوض في علم الكلام، وما يجلب الآثام ويصد عن الشرع.

---

(١) منهاج السنة (١٥٨/١٥).

٣- الزم خشية الله:

عليك بعمارة ظاهرك وباطنك بخشية الله تعالى؛ محافظًا على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها؛ فكن دالاً على الله بعلمك وسمتك وعملك، واعلم أن أصل العلم خشية الله تعالى- كما قال الإمام أحمد – فالزمها في السر والعلن؛ فإن خير البرية من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم، والعالم لا يعد عالمًا إلا إذا كان عاملاً، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله، وقد قال علي بن أبي طالب ﷺ: «هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل».

٤- دوام المراقبة:

تحل بدوام المراقبة لله تعالى في سرِّك وعلانيتك، وسر إلى ربك بين الخوف والرجاء، وأقبل عليه بكليتك، واملأ قلبك بمحبته ولسانك بذكره واستبشر بأحكامه وحكمه سبحانه.

٥- خفض الجناح ونبذ الخيلاء والكبرياء:

إياك والخيلاء؛ وهي الإعجاب بالنفس مع إظهار ذلك بالبدن؛ فإنه نفاق وكبرياء، واحذر داء الجبابرة؛ الكبر: وهو بطر الحق وغمط الناس، وهو مع الحرص والحسد أول ذنب عصي الله به؛ فلا تتطاول على معلمك ولا تستنكف عمن يفيدك ممن هو دونك، ولا تقصر في العمل بالعلم؛ فكل ذلك كبر وعنوان حرمان؛ فعليك أن تلتصق بالأرض وأن تهضم نفسك وترغمها عند الاستشراق لكبرياء، أو غطرسة، أو حب ظهور أو عجب؛ فإن هذه آفات العلم القاتلة له، وتحل بآداب النفس؛ من العفاف، والحلم، والصبر، والتواضع للحق ذليلاً له؛ مع الوقار والرزانة، متحملاً ذل التعلم

لعزة العلم.

٦- القناعة والزهادة:

اقنع بما آتاك الله عز وجل وتحل بالزهد، واعلم أن حقيقته الزهد بالحرام، والكف عن المشتبهات وعن التطلُّع إلى ما في أيدي الناس؛ فكن معتدلاً في معاشك بما لا يشينك، ولا ترد مواطن الذلة والهون.

٧- التحلي برونق العلم:

رونق العلم هو حسن السمت والهدي الصالح بدوام السكينة والوقار والخشوع والتواضع؛ فقد كان السلف كما قال ابن سيرين رحمه الله يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم.

فيا طالب العلم تجنب اللعب والعبث والتبذل في المجالس بالضحك والقهقهة وكثرة التنادر؛ فإن المزاح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروءة، ويوغر الصدر، ويجلب الشر. وقد قيل: «من أكثر من شيء عرف به»، وقال عمر ﵁: «من تزين بما ليس فيه شانه الله».

٨- تحل بالمروءة:

المروءة فعل ما يجمل الإنسان ويزينه عند الناس، واجتناب ما يقبحه ويشينه؛ فعليك بها وما يحمل إليها من مكارم الأخلاق وطلاقة الوجه، وإفشاء السلام وتحمل الناس وغير ذلك، وابتعد عن خوارمها في طبع أو عمل؛ من حرفة مهينة، أو صفة رديئة؛ كالعجب والرياء، واحتقار الآخرين، وغشيان مواطن الريب والتهم، فرحم الله امرأ كف الغيبة عن نفسه.

٩- التمتع بخصال الرجولة:

كالشجاعة، وشدة البأس في الحق ومكارم الأخلاق، والبذل في سبيل المعروف من مال أو جاه أو علم، واحذر نواقضها من ضعف الجأش، وقلة الصبر، وضعف المكارم؛ فإنها تهضم العلم وتقطع اللسان عن قول الحق.

١٠- هجر الترف:

لا تكثر من التنعم والرفاهية؛ فإن البذاذة من الإيمان كما صح عن النبي ﷺ، وقال عمر رضي الله عنه: «إياكم وزي العجم وتمعددوا واخشوشنوا..».

فالحلية في الظاهر كاللباس عنوان على انتماء الشخص، وتحديد له؛ بل هو وسيلة من وسائل التعبير عن الذات؛ فخذ من اللباس ما يزينك ولا يشينك، واجعل ملبسك وكيفية لبسك يلتقيان مع شرف ما تحمله من العلم الشرعي، وكان عمر رضي الله عنه يقول: «أحب إلي أن أنظر القارئ أبيض الثياب»، واعلم أن الناس يصنفونك من لباسك؛ بل إن كيفية اللبس تعطي للناظر تصنيف اللابس من: الرصانة والتعقل والتمشيخ والرهبنة والتصابي وحب الظهور.

فإياك ثم إياك من لباس التصابي واللباس الإفرنجي الذي لا يخفى عليك حكمه، وليس معنى هذا أن تأتي بلباس مشوة؛ لكنه الاقتصاد في اللباس برسم الشرع.

١١- الإعراض عن مجالس اللغو:

ابتعد عن مجالس اللغو التي لا فائدة فيها، واعلم أنها تهتك أستار الأدب، فإن فعلت ذلك فإن جنايتك على العلم وأهله عظيمة.

١٢- الإعراض عن الهيشات:

صن نفسك أيها الطالب من اللغط والهيشات؛ لأنها تشتمل

على السبِّ والشتم وغير ذلك من الأخلاق القبيحة، وهذا ينافي أدب الطلب.

١٣- التحلي بالرفق:

تجنب الكلمة الجافية في خطابك واجعله لينًا، وكذا تجنب الفعل الجافي حتى تتألف النفوس الناشزة، والأدلة في ذلك كثيرة، وكما يقولون: «الكلام اللين يغلب الحق البين». فكن أيها الطالب رفيقًا من غير ضعف، عنيفًا في مواضع العنف، وإذا دار الأمر بينهما فالأولى الرفق (١).

١٤- التأمل:

عليك بالتأني والتريث في كلامك وأفعالك، وتأمل عند التكلم بماذا تتكلم وما هي عائدته، وتأمل عند المذاكرة [المناظرة] كيف تختار القالب المناسب للمعنى المراد، وكذا عد سؤال السائل كيف سؤاله على وجهه حتى لا يحتمل وجهين، وأيضًا تأمل كذلك عند الجواب (٢).

١٥- الثبات والتثبت:

عليك الصبر والثبات في التلقي؛ لا تمل ولا تضجر، واطو الساعات في الطلب على الأشياخ، وكذا عليك بالتثبت فيما يصل إليك من أخبار وفيما ينقل عنك من أحكام.

ثانيًا: كيفية الطلب والتلقي

١٦- كيفية الطلب والتلقي ومراتبه:

لابد من التأصيل والتأسيس آخذًا في ذلك بالتدرج؛ كما قال

---

(١) شرح محمد بن صالح العثيمين ش٢.

(٢) المرجع السابق.

تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]؛ فلابد أيها الطالب من مراعاة الأمور الآتية في كل فن تطلبه:

(١) حفظ مختصر فيه.

(٢) ضبطه على شيخ متقن أمين.

(٣) عدم الاشتغال بالمطولات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله.

(٤) لا تنتقل من مختصر إلى آخر فتضجر.

(٥) اقتناص الفوائد والضوابط العلمية.

(٦) جمع النفس للطلب والترقي فيه مع الاهتمام والتحرق للتحصيل والبلوغ لما فوقه.

* واعلم أن المقدم على ذلك كله هو حفظ القرآن الكريم ودوام مراجعته حتى يثبت، أما الخلط في التعليم بين علمين فأكثر فهذا يختلف باختلاف المتعلمين في الفهم والنشاط.

وإليك أيها الطالب نماذج للكتب التي ينبغي للطالب أن يتدرج عليها في رحلته لطلب العلم:

ففي توحيد العبادة ثلاثة الأصول وأدلتها، والقواعد الأربع، وكشف الشبهات، ثم كتاب التوحيد أربعتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وفي توحيد الأسماء والصفات: الواسطية والحموية والتدمرية ثلاثتها لابن تيمية ثم الطحاوية مع شرحها.

وفي النحو: الآجرومية ثم ألفية ابن مالك مع شرحها لابن عقيل.

وفي الحديث: الأربعون النووية ثم عمدة الأحكام للمقدسي أو بلوغ المرام لابن حجر؛ فالدخول في الأمات الست.

وفي المصطلح: نخبة الفكر لابن حجر ثم ألفية العراقي.

وفي الفقه: آداب المشي إلى الصلاة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم زاد المستقنع للحجاوي رحمه الله تعالى أو عمدة الفقه، ثم المقنع للخلاف المذهبي، فالمغني للخلاف العالي، ثلاثتها لابن قدامة رحمه الله تعالى (١).

وفي الأصول: الورقات للجويني ثم روضة الناظر لابن قدامة.

وفي الفرائض: الرحبية للرحبي.

وفي السيرة: مختصرها لمحمد بن عبد الوهاب، ثم سيرة ابن هشام، وكذا زاد المعاد لابن القيم.

وفي لسان العرب: العناية بالأشعار كالمعلقات السبع والمرور على القاموس للفيروزآبادي..

وهكذا في مراحل الطلب.

فهذه هي أصالة الطلب؛ وذلك من خلال دراسة المختصرات المعتمدة وحفظها؛ لا على الاعتماد على الفهم فحسب؛ فلا بد من الأمرين معًا، ولابد من خلو التلقين من الزغل والشوائب والكدر سيرًا على منهاج السلف.

١٧- تلقي العلم على الأشياخ:

طريقة التلقين والتلقي عن الأسانيد والأخذ من أفواه الرجال لا

---

(١) وهذا ويمكن لأصحاب المذهب الشافعي العودة إلى متن الغاية والتقريب لأبي شجاع ثم شرحه لابن قاسم أو كفاية الأخيار ثم فتح المعين لشرح قرة العين للمليباري ثم المنهاج للنووي وله عدة شروح منها السراج الوهاج والمغني وغيره.

من الصحف، وبطون الكتب هي الأصل في الطلب؛ فقد قيل: «من دخل في العلم وحده خرج وحده»؛ إذ العلم صنعة، وكل صنعة تحتاج إلى صانع؛ فلابد إذن لتعلمها من معلمها الحاذق، والدليل على ذلك أن آلاف التراجم والسير على مدار التاريخ مشحونة بتسمية الشيوخ والتلاميذ ومستقل من ذلك ومستكثر.

ثالثًا: أدب الطالب مع شيخه

١٨- رعاية حرمة الشيخ:

ليكن شيخك ومعلمك محل إجلال منك وتقدير وتلطف، فتأدب في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، ولا تتقدم عليه بكلام أو مسير، أو إكثار الكلام عنده، أو المداخلة أثناء حديثه ودرسه بكلام منك أو إلحاح عليه في جواب، متجنبًا الإكثار من السؤال؛ خاصة مع كثرة الناس؛ لئلا تفتر أنت ويمل هو، ولا تناده باسمه مجردًا بل قل يا شيخنا أو أستاذنا، ولا تناده من بعد من غير اضطرار، والتزم توقير المجلس وإظهار السرور من الدرس والإفادة به، وإذا بدا لك خطأ من الشيخ فلا يسقطه ذلك من عينيك؛ فإنه سبب لحرمانك من علمه، واحذر من امتحان الشيخ على القدرة العلمية والتحمل؛ فإن هذا يضجره، وإذا أردت الانتقال إلى شيخ آخر فاستأذنه بذلك وأعلمه لأنه بقدر رعاية حرمته يكون النجاح والفلاح، وبقدر الفوت يكون الإخفاق.

١٩- رأس مالك أيها الطالب من شيخك:

القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله؛ فإذا أحببته فلا يدفعك حبه أن تقلده بصوت، أو نغمة أو مشية أو حركة أو هيئة، إلا إذا

كانت مشيته تشبه مشية النبي ﷺ فلا بأس أن تقلده فيها فإن ذلك من الاتباع [1].

٢٠- نشاط الشيخ في درسه:

ويكون على قدر مدارك الطالب في استماعه، وجمع نفسه، وتفاعل أحاسيسه مع شيخه في درسه؛ فلا تكن وسيلة قطع لعلمه بالكسل والفتور والاتكاء وانصراف الذهن وفتوره.

٢١- الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة:

وهي تختلف من شيخ إلى آخر، ولها آداب وشروط.. أما الآداب فينبغي لك أن تعلم شيخك أنك ستكتب أو كتبت ما سمعته مذاكرة؛ أما الشرط فتشير إلى أنك كتبته من سماعه من درسه.

٢٢- التلقي من المبتدع:

احذر [أبا جهل] المبتدع، الذي مسه زيغ العقيدة وغشيته سحب الخرافة يحكم الهوى ويسميه العقل، ويعدل عن النص ويستمسك بالضعيف، ويبعد عن الصحيح، ولقد بلغ السلف مبلغًا في التحذير من المبتعدة فكانوا رحمهم الله يحتسبون الاستخفاف بهم وتحقيرهم ورفض المبتدع وبدعته؛ بل يحذرون من مخالطتهم ومشاورتهم ومؤاكلتهم، وكان منهم من لا يصلي على جنازة مبتدع فينصرف، ومنهم من ينهى عن الصلاة خلفهم وينهى عن حكاية بدعهم؛ لأن القلوب ضعيفة والشبه خطافة؛ بل كانوا يطرودهم من مجالسهم كما في قصة الإمام مالك مع من سأله عن كيفية الاستواء.

---

(١) ش محمد بن صالح العثيمين ش٣.

وأخبار السلف متكاثرة في النفرة من المبتدعة وهجرهم؛ حذرًا من شرهم وتحجيمًا لانتشار بدعهم وكسرًا لنفوسهم؛ حتى تضعف عن نشر الشر، ولأن معاشرة السني للمبتدع تزكية له لدى المبتدئ والعامي، وقد كان ابن المبارك رحمه الله يسمي المبتدعة [الأصاغر]، ويقال لهم أيضًا: أهل الشبهات وأهل الأهواء.

فإن كنت في السعة والاختيار فلا تأخذ عن مبتدع: رافضي، أو خارجي، أو مرجي، أو قدري، أو قبوري؛ فإنك لن تبلغ مبلغ الرجال صحيح العقد في الدين متين الاتصال بالله صحيح النظر تقفو الأثر- إلا بهجر المبتدعة وبدعهم؛ وأما إن كنت في دراسة نظامية لا خيار لك فاحذر منه مع الاستعاذة من شره باليقظة من دسائسه على حد قولهم: «اجن الثمار وألق الخشب في النار». والأمر في هجر المبتدع يبنى على مراعاة المصالح وتكثيرها، ودفع المفاسد وتقليلها، وعلى هذا تتنزل المشروعية كما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مواضع.

رابعًا: آدابُ الزمالة

٢٣- احذر قرين السوء:

إذ إن الطبيعة نقالة والطباع سراقة والصاحب ساحب، والناس مجبولون على التشبه بعضهم ببعض، وعليه فتخير من يعينك على مطلبك ويقربك إلى ربك ويوافقك على شريف غرضك ومقصدك؛ فإن الصديق أقسام: صديق منفعة، وصديق لذة، وصديق فضيلةٍ؛ فالأولان منقطعان بانقطاع موجبهما؛ أما الثالث فالتعويل عليه، وهو الذي باعث صداقته تبادل الاعتقاد في رسوخ الفضائل لدى كل منهما، وهذا النوع عملة صعبة يعز الحصول عليها، وفي ذلك

يقول هشام بن عبد الملك: «ما بقي من لذات الدنيا شيء إلا أخ أرفع مؤونة التحفظ بيني وبينه».

خامسًا: آداب الطالب في حياته العلمية

٢٤- كبر الهمة في العلم:

ارسم لنفسك كبر الهمة لترقى إلى درجات الكمال؛ فيجري في عروقك دم الشهامة والركض في ميدان العلم والعمل؛ فلا يراك الناس واقفًا إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطًا يديك إلا لمهمات الأمور، وردد مقولة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله: «مع المحبرة إلى المقبرة». ولا تغلط فتخلط بين كبر الهمة والكبر؛ فإنَّ بينهما من الفرق كما بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع؛ فالأول حلية ورثة الأنبياء، والثاني داء المرضى بعلة الجبابرة البؤساء.

٢٥- النهمة في الطلب:

عليك بالاستكثار من ميراث النبي ﷺ وابذل الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق، ومهما بلغت في العلم فتذكر قول القائل: «كم ترك الأول للآخر» وقول الشافعي رحمه الله: «كلما ازددت علمًا زادني علمًا بجهلي».

٢٦- الرحلة للطلب:

إذا أردت أيها الطالب أن تتأهل في العلم فلابد من رحلة إلى أهل العلم؛ لأن هؤلاء العلماء الذين مضى وقت في تعلمهم وتعليمهم والتلقي عنهم لديهم من التحريرات والضبط والنكات العلمية والتجارب ما يعز الوقوف عليه أو على نظائره في بطون الأسفار، واحذر القعود عن هذا على مسلك المتصوفة البطالين

الذين يفضلون (علم الخرق) على (علم الورق)؛ فإنهم لا للإسلام نصروا، ولا للكفر كسروا؛ بل فيهم من كان بأسًا وبلاءً على الإسلام.

٢٧- حفظ العلم كتابة:

اعلم أن تقييد العلم بالكتابة أمان من الضياع، وقصر لمسافة البحث عند الاحتياج؛ لا سيما في مسائل العلم التي تكون في غير مظانها، ومن أجل فوائده أنه عند كبر السن وضعف القوى يكون لديه مادة تأخذ منها مادة تكتب فيها بلا عناء في البحث والتقصي، ويكون ذلك بأمرين:

الأول: اجعل لك مذكرة تقييم الفوائد والفرائد والأبحاث المنثورة في غير مظانها.

الثاني: استعمال غلاف الكتاب لتقييد ما فيه من ذلك، ثم تنقل ما يجتمع لك في مذكرة مرتبًا على الموضوعات مقيدًا رأس المسألة واسم الكتاب ورقم الصفحة والمجلد واكتب على ما قيدته [نقل]؛ حتى لا يختلط مع غير ما نقل. قال الشعبي: «إذا سمعت شيئًا فاكتبه ولو في الحائط».

٢٨- حفظ الرعاية:

اجعل حفظك للعلم حفظ رعاية لا حفظ رواية؛ فإن رواة العلوم كثير ورعاتها قليل، ولا يكون ذلك إلا بالعمل والاتباع والبعد عن المفاخرة والمباهاة به، وأن لا يكون القصد في ذلك نيل الرئاسة واتخاذ الأتباع وعقد المجالس، وسبيلاً إلى نيل الأغراض وأخذ الأعواض، فالإخلاص الإخلاص في الطلب وحسبك به.

٢٩- تعاهد المحفوظات:

تعاهد علمك من وقت إلى آخر؛ فإن عدم التعاهد عنوان الذهاب مهما كان وتذكر قوله ﷺ: «**إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت**». فإذا كان القرآن الميسر للذكر يذهب إذا لم يتعاهد فما ظنك بغيره من العلوم المعهودة؟! وخير العلوم ما ضبط أصله، واستذكر فرعه، وقاد إلى الله تعالى ودل على ما يرضاه.

٣٠- التفقه بتخريج الفروع على الأصول:

تحل بالنظر والتفكر والفقه والتفقه؛ لتصل بإذن الله إلى ما يسميه الفقهاء (فقيه النفس)؛ وهو الذي يعلق الأحكام بمداركها الشرعية، فعليك بتخريج الفروع على الأصول وتمام العناية بالقواعد العامة، واجمع للنظر في فرع ما بين تتبعه وإفراغه في قالب الشريعة العام من قواعدها وأصولها المطردة؛ كقواعد المصالح، ودفع الضرر والمشقة وجلب التيسير وسد باب الحيل وسد الذرائع؛ فإن هذا يسعفك في مواطن المضايق.

فالفقيه هو من تعرض له النازلة لا نص فيها فيقتبس لها حكمًا، ولشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله فصول مهمة في ذلك من نظر في كتب هذين الإمامين سلك به النظر إلى التفقه طريقًا مستقيمًا.

٣١- اللجوء إلى الله تعالى في الطلب والتحصيل:

لا تفزع أو تكثرت إذا لم يفتح لك في علم من العلوم؛ فقد تعاصت بعض العلوم على بعض الأعلام المشاهير، فضاعف الرغبة، وافزع إلى الله في الدعاء واللجوء إليه والانكسار بين يديه.

٣٢- الأمانة العلمية:

يجب على طالب العلم الفائق التحلي بالأمانة العلمية في الطلب والتحمل والعمل والبلاغ والأداء؛ فكن أمينا فيما تروي وتصف، فلا ترو ما لم تسمع، ولا تصف ما لم تعلم.

٣٣- الصدق:

تعلم رحمك الله الصدق قبل أن تتعلم العلم، والصدق إلقاء الكلام على وجه مطابق للواقع والاعتقاد، ونقيضه الكذب؛ وهو ضروب وألوان وأودية يجمعها ثلاثة:

١- كذب المتملق.. وهو ما يخالف الواقع والاعتقاد كمن يتملق لمن يعرفه فاسقًا أو مبتدعًا فيصفه بالاستقامة.

٢- كذب المنافق.. وهو ما يخالف الاعتقاد ويطابق الواقع كالمنافق ينطق بما يقوله أهل السنة والهداية.

٣- كذب الغبي.. بما يخالف الواقع ويطابق الاعتقاد كمن يعتقد صلاح صوفي مبتدع فيصفه بالولاية.

واحذر أن تحوم حولك الظنون فتخونك العزيمة في صدق اللهجة فتسجل في قائمة الكذابين، والضمان لهذا: إن نازعتك نفسك بكلام غير صادق فيه فذكرها بمنزلة الصدق وشرفه ورذيلة الكذب وأن صاحبه عن قريب ينكشف، وكذا احذر الإكثار من المعاريض فتنزلق إلى الكذب.. ومن تطلع إلى سمعة فوق منزلته فليعلم أن في المرصاد رجالاً يحملون بصائر نافذة وأقلامًا ناقدة فيزنون السمعة بالأثر فتعرى عن ثلاثة معان:

١- فقد الثقة من القلوب.

٢- ذهاب علمك وانحسار القبول.

٣- أن لا تصدق ولو صدقت.

٣٤- جنة الطالب..

قولك (لا أدري) جنة لك ووقاية ويهتك حجامها أن تستنكف منها، وقولك (يُقال)؛ فإن نصف الجهل (يُقالُ) و (أظُنُّ) ونصف العلم (لا أدري).

٣٥- المحافظة على رأس مالك (ساعات عمرك)..

الوقت الوقت للتحصيل فحافظ عليه بالجد والاجتهاد، وملازمة الطلب، ومزاحمة الأشياخ بالركب، والاشتغال بالعلم قراءة ومطالعة وتدبرًا وحفظًا وبحثًا لا سيما في أوقات الشباب ومقتبل العمر؛ لقلة الشواغل والصوارف عن التزامات الحياة والترؤس، ولخفة الظهر والعيال، وإياك والتسويف على نفسك؛ فلا تسوف لنفسك بعد الفراغ من كذا وبعد التقاعد من العلم هذا.. بل البدار قبل أن تفوت ساعات عمرك.

٣٦- إجمام النفس:

خذ من وقتك سويعات تجم بها نفسك في رياض العلم من كتب المحاضرات (الثقافة العامة)؛ فإن القلوب يروح عنها ساعة فساعة كما قال علي ﷺ: «أجموا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة؛ فإنها تمل كما تمل الأبدان». ولشيخ الإسلام كلام مفيد في هذا فليراجع [١]، ولهذا أيضًا كانت العطل الأسبوعية للطلاب منتشرة منذ أمدٍ بعيدٍ.

٣٧- قراءة التصحيح والضبط:

احرص على هذا الأمر ولكن على شيخ متقن لتأمن التحريف

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨٧/٢٣، ٢١٧).

والتصحيف والغلط والوهم؛ فإن من سبق قد قرأ المطولات في مجالس أو أيام قراءة ضبط على شيخ متقن كما فعل ابن حجر رحمه الله؛ فقد قرأ صحيح البخاري في عشرة مجالس كل مجلس عشر ساعات، وصحيح مسلم في أربعة مجالس نحو يومين وشيء من بكرة النهار إلى الظهر.

٣٨- جرد المطولات:

عليك بهذا السبيل لكي تتعدد معارفك وتتوسع مداركك وتستخرج الفوائد والفرائد وتزداد خبرة في الأبحاث والمسائل ومعرفة طرائق المصنفين واصطلاحهم فيها.

٣٩- حسن السؤال:

التزم أدب المباحثة من حسن السؤال، فالاستماع، فصحة الفهم للجواب، وإياك إذا حصل الجواب أن تقول: لكن الشيخ فلان قال لي كذا. أو: قال كذا. لئلا تضرب أهل العلم بعضهم ببعض، فاحذر هذا، وإن كان لابد فكن واضحًا في السؤال وقل: إن قال قائل، أو ما رأيك في الفتوى بكذا، ولا تسم أحدًا.

٤٠- المناظرة بلا مماراة:

إن المناظرة في الحق نعمة لما فيها من إظهار الحق على الباطل والراجح على المرجوح، مبنية على المناصحة والحلم ونشر العلم، وإياك والمماراة فهي نقمة وتحجح ورياء ولغط وكبرياء ومغالبة واختيار وشحناء ومجاراة للسفهاء فاحذرها واحذر فاعلها وأعرض تسلم.

٤١- مذاكرة العلم:

عليك بها فهي في مواطن تفوق المطالعة وتشحد الذهن وتقوي

الذاكرة والتزام الإنصاف والملاطفة مبتعدًا عن الحيف والشغب، وكن على حذر، فإنها تكشف عوار من لا يصدق، وأما مع قاصر في العلم بارد الذهن فهي داء ومنافرة، ومذاكرتك مع نفسك أمر لا يسوغ أن تنفك عنه، وقد قيل: «إحياء العلم مذاكرته».

٤٢- طالب العلم يعيش بين الكتاب والسنة وعلومهما:

فهما له كالجناحين للطائر فاحذر أن تكون مهيض الجناح.

٤٣- استكمال أدوات كل فن:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾؛ دلت هذه الآية على أن الطالب لا يترك علمًا حتى يتقنه ويستكمل أدواته؛ ففي الفقه بين الفقه وأصوله، وفي الحديث بين علمي الرواية والدراية.. وهكذا.

سادسًا: التحلي بالعمل

٤٤- من علامات العلم النافع:

١- العمل به.

٢- كراهية التزكية والمدح والتكبر على الخلق.

٣- تكاثر تواضعك كلما ازددت علمًا.

٤- الهرب من حب الترؤس والشهرة والدنيا.

٥- هجر دعوى العلم.

٦- إساءة الظن بالنفس وإحسانه بالناس تنزهًا عن الوقوع بهم.

٤٥- زكاة العلم:

أد (زكاة العلم) صادعًا بالحق، أمارًا بالمعروف، نهاءً عن المنكر، موازنًا بين المصالح والمضار، ناشرًا للعلم وحب النفع وبذل الجاه والشفاعة للمسلمين في نوائب الحق والمعروف، ولشرف العلم؛ فإنه

يزيد لكثرة الإنفاق وينقص مع الإشفاق، وآفته الكتمان، ولا تحملك دعوى فساد الزمان وغلبة الفساق وضعف إفادة النصيحة عن واجب الأداء والبلاغ؛ فإن ذلك مما يفرح الفساق ليتم لهم الخروج عن الفضيلة ورفع لواء الرذيلة.

٤٦– عزة العلماء:

صن العلم وعظمه واحم جناب عزِّه وشرفه، فبقدر ما تبذله في هذا يكون الكسب منه ومن العمل به، وبقدر ما تهدره يكون الفوت؛ فلا تسع به إلى أهل الدنيا، ولا تقف به على أعتابهم، ولا تبذله إلى غير أهله وإن عظم قدره، وإياك أن يمتطيك السفهاء ويتمندل بك الكبراء فتلاين في فتوى أو قضاء أو بحث أو خطاب، وإن أردت الشواهد على ذلك فعليك بقراءة التراجم والسير، واحفظ قصيدة القاضي الجرجاني في ذلك.

٤٧– صيانة العلم: إن بلغت منصبًا فاعلم أنما وصلت إليه بفضل الله ثم بسبب علمك بلغت ما بلغت من ولاية في التعليم أو الفتيا؛ فلا تجعل الأساس حفظ المنصب؛ فتطوي لسانك من قول الحق، ولا يحملك حب الولاية على المجاراة؛ فحافظ على قيمتك بحفظ دينك وعلمك وشرف نفسك بحكمة ودراية وحسن سياسة.

٤٨– المداراة لا المداهنة:

المداهنة خلق منحط؛ أما المداراة فلا، لكن لا تخلط بينهما فتحملك المداهنة إلى خلق النفاق مجاهرة، والمداهنة هي التي تمس دينك.

٤٩– الغرام بالكتب:

لقد اشتد غرام الطلاب بجمع الكتب مع الانتقاء؛ لمعرفتهم

لأهمية طلب العلم وحصول اللذة والسرور بقدر تحصيله، وظهور النقص بقدر نقصه، وفي هذا أخبار تطول، وإياك أن تشحذ مكتبتك بكتب المبتدعة؛ فهي غثاء وتشويش على الفكر وسم ناقع فاحذرها.

٥٠- قوام مكتبتك:

عليك بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكذا كتب ابن عبد البر وابن قدامة والذهبي وابن كثير وابن حجر وابن رجب والشوكاني والصنعاني ومحمد بن عبد الوهاب ومحمد الأمين الشنقيطي.

٥١- التعامل مع الكتاب:

عليك بمقدمة الكتاب؛ فإنها كاشفة عن اصطلاح مؤلفه، وبذلك تحصل الفائدة من الكتاب.

٥٢- ومنه:

أن لا تدخل في مكتبتك الكتاب حتى تمر عليه جردًا بقراءة مقدمته وفهرسه ومواضع منه؛ فربما مر زمان وفات العمر دون النظر فيه، وهذا مجرب.

٥٣- إعجام الكتابة:

ويكون بأمور:

١- وضوح الخط.

٢- رسمه على ضوء قواعد الرسم — الإملاء.

٣- النقط للمعجم والإهمال للمهمل.

٤- الشكل لما يشكل.

٥- تثبيت علامات الترقيم في غير آية أو حديث..

سابعًا: المحاذير

٥٤- حلم اليقظة:

وهو أن تدعي العلم بما لم تعلم أو إتقان ما لم تتقن؛ فذلك حجاب كثيف عن العلم.

٥٥- احذر أن تكون (أبا شبر):

فقد قيل: العلم ثلاثة أشبار: من دخل في الشبر الأول تكبر، ومن دخل في الشبر الثاني تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث علم أنه ما يعلم.

٥٦- التصدر قبل التأهل:

وقد قيل: من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه.

٥٧- التنمر في العلم:

وذلك بأن تراجع مسألة أو مسألتين؛ فإذا كنت في مجلس فيه من يشار إليه، أثرت البحث فيها لتظهر علمك، ويكفيك أن الناس يعلمون حقيقتك، فاحذر ذلك.

٥٨- تحبير الكاغد:

لا تشتغل بالتصنيف قبل استكمال أدواته واكتمال أهليتك والنضوج على يد أشياخك وتعدد معارفك والتمرس بالتأليف بحثًا ومراجعة ومطالعة وجردًا لمطولاته وحفظًا لمختصراته واستذكارًا لمسائله.

٥٩- موقفك من وهم من سبقك:

إن المنصف يجزم أنه ما من إمام إلا وله أغلاط وأوهام؛ فإن ذلك يغمر في بحر علمه وفضله؛ فلا تثر الشغب عليه والتنقص منه والحط عليه؛ فإذا ظفرت بوهم له فلا تفرح للحط منه ولكن التمس

العذر له وصحح الخطأ.

٦٠- دفع الشبهات:

اجتنب إثارة الشبه وإيرادها على نفسك أو غيرك؛ فإنها خطافة، والقلوب ضعيفة، وأكثر من يلقيها المبتدعة فاحذرهم.

٦١- احذر اللحن:

فإن عَدَمَ اللحن جلالةٌ، وصفاء ذوق، ووقوف على ملاح المعاني لسلامة المباني، فاحذر ذلك في اللفظ والكتب.

٦٢- الإجهاض الفكري:

لا تخرج الفكرة إلا بعد نضوجها واكتمالها؛ فإن ذلك إجهاض لفكرك.

٦٣- الإسرائيليات الجديدة:

وهي ما نفثه المستشرقون من يهود ونصارى؛ فهي أعظم خطرًا من الإسرائيليات القديمة؛ فإن هذه قد اتضح أمرها ببيان النبي ﷺ الموقف منها، ونشر العلماء القول فيها؛ أما الجديدة فهي شر محض بلاء متدفق، فاحذر أن تقع فيها.

٦٤- احذر الجدل البيزنطي:

أي الجدل العقيم الضئيل الذي يصد عن السبيل، وهدي السلف الكفُّ عن كثرة الخصام والجدال، وأن التوسع فيه من قلة الورع؛ كما قال الحسن: «هؤلاء ملوا العبادة وخف عليهم القول وقل ورعهم فتكلموا».

٦٥- لا طائفية ولا حزبية يعقد الولاء والبراء عليها:

أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام:

أبي الإســــــلام لا أب لي ســــــــواه

إذا افتخـــــــروا بقـــــــيس أو تمـــــــيم

فاحذر يا طالب العلم من الحزبية وفر منها فرارك من الأسد؛ فإنها أعظم العوائق عن العلم، وسبب التفريق عن الجماعة؛ فكم أوهنت حبل الاتحاد الإسلامي وغشيت المسلمين بسببها الغواشي، فاحذر أحزابًا وطوائف مثلها كالميازيب تجمع الماء كدرًا وتفرقه هدرًا، إلا من رحم ربك؛ فكن على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

فكن طالب علم على الجادة تقفو الأثر، وتتبع السنن تدعو إلى الله على بصيرة على طريق السلف عارفًا لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم.

٦٦- نواقض هذه الحلية:

اعلم وقانا الله وإياك العثرات أن من أعظم خوارم هذه الحلية المفسدة لنظام عقدها:

١- إفشاء السر.

٢- ونقل الكلام من قول إلى آخرين.

٣- والصلف واللسانة.

٤- وكثرة الكلام.

٥- والدخول في حديث بين اثنين.

٦- والحقد.

٧- والحسد.

٨- وسوء الظن.

٩- ومجالسة المبتدعة.

١٠- ونقل الخطى إلى المحارم.

فاحذر هذه الآثام وأخواتها؛ فإن فعلت وإلا فاعلم أنك رقيق الديانة خفيف، لعَّاب مغتاب، نمام؛ فأنى لك أن تكون طالب علم يشار إليك بالبنان منعما بالعلم والعمل.

سدد الله الخطى ومنح الجميع التقوى وحسن العاقبة في الآخرة والأولى

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

لمزيد تفصيل يراجع أصل المختصر

«حلية طالب العلم لبكر بن عبد الله أبو زيد»

